

في ظل التضيق الشديد الذي مارسته قوات الإستعمار الفرنسي على الثورة التحريرية في الجزائر أصبح من الصعب جدا إيجاد قناة للتواصل بين قيادات الثورة فيما بينها وحتى بينها وبين المواطنين، وإضافة إلى انعدام قنوات التواصل العصرية كانت الأداة الوحيدة لذلك هي الرسالة المكتوبة.

1 فما هي طبيعة الرسائل والبيانات الثورية؟ وكيف كانت مستويات الخطاب فيها؟ أي نوع من لغة الخطاب هيمنت على رسائل المجاهدين؟ وهل كان الإهتمام باللغة أو بالبلاغ في رسائل جيش التحرير وبياناته؟ هذه بعض الأسئلة التي أحاول الإجابة عنها من خلال مجموعة رسائل نعتمدها كوثيقة تاريخية للموضوع الذي تناقشة هذه المداخلة.

2 لغة الخطاب من خلال رسائل المجاهدين وبيانات الثورة التحريرية .

3 يأخذ الحديث عن اللغة العربية ومكانتها كلغة تحمل كل المقومات الحضارية الكثير من الدلالات . ولعلي- في هذه المداخلة- لن أصيب كبد الحقيقة إن خضت في ذلك . ذلك أن درجة الاختلاف واسعة عندما يتعلق الأمر بنمط التفكير في معالجة القضايا اللغوية، حيث تتباين الطرق والأساليب ، ولكن لن نكون كذلك إذا ما تعلق الأمر بتحديد مستوى اللغة وعناصرها الأساسية التي ميزت استعمالها في الجزائر ، في مرحلة كان الكثير يشكك في أنها أرضا عربية ينبض فيها الدم القومي العربي ، وينطلق لسانها مفتخرا بلغته العربية .

4متحمدا هيمنة الإستعمار الذي بقي أكثر من مئة وثلاثين عاما يجرع أبناء هذه الأرض لغة"هيقو" التي لم تكن تُرفض لو خير الجزائري في تعلمها . بل إنها أصبحت لونا من ألوان الشراسة الاستعمارية .

5فهل نجحت الثورة التحريرية في المحافظة على سلامة اللسان والقلم الجزائريين الناطقين بالعربية فخرا وإحياءا لروح العروبة السارية في دماء هذا الوطن؟

6 ولذلك جاءت هذه المداخلة لتبحث في الاعتناء بجانب من اللغة العربية الفصحى من حيث الاستعمال العفوي غير المتكلف . وهو اللغة التي كتبت بها رسائل المجاهدين وبيانات الثورة التحريرية . حيث في ظل التضيق الشديد الذي مارسته قوات الإستعمار الفرنسي على الثورة التحريرية في الجزائر أصبح من الصعب جدا إيجاد قناة للتواصل بين قيادات الثورة التحريرية في الجزائر، فيما بينها وحتى بينها وبين المواطنين . فكانت أداة التواصل الوحيدة هي الرسالة المكتوبة .

7من هنا جاء هذا التساؤل في طبيعة الرسائل والبيانات الثورية؟ وأي نوع من لغة الخطاب هيمن على تلك البيانات؟ وهل كان الإهتمام باللغة أو بالبلاغ في تلك الرسائل؟

8 عشية إنذاع الثورة التحريرية كان لزاما على قادة الثورة إيجاد طريقة لتقريب الاتصال بين المجاهدين وقادتهم في الولايات. فظهرت الرسائل المكتوبة التي يتولى نقلها رجال، أول ما يمتحن فيهم السرية التامة والتكتم، حتى وإن وصل الأمر إلى الاستشهاد. وكم نقل لنا التاريخ أحداث أشخاص قاموا بابتلاع الرسائل خوفا من أن تقع بين أيدي العدو لما تحمله من أخبار سرية . وقد انقسمت رسائل الثورة إلى أنواع عدة . أحصيت بعضها فيما يلي :

19 - تقارير العمليات الحربية والحملات العسكرية

10 إذا كان من الطبيعي أن تقاس قوة الثورات بانتصاراتها . فإن لفعالية الجهاز التنظيمي والإداري الدور الكبير في تنسيق النشاطات وتسييرها على النحو الذي يبرز أنها ثورة منظمة وليست جماعة من المتمردين ، ولقد كان هذا التنظيم المكتبي محكما " فليقادة القسم مركز بالكتّاب . وهو مركز متنقل كبقية مراكز الثورة وللناحية مركز كتابها الخاصين ، وكذا المنطقة . وأخير الولاية ¹) ، ولعل ما كان يميز هذا التنظيم المكتبي هو النقص البشري ، لقلة المتعلمين الأكفاء ، والذين كان أغلبهم من حفظة القرآن الكريم .

11كما عملت هذه التنظيمات على استخدام سكان المناطق الجبلية التي كانت معقلا لها ضمانا للسرية. ويزداد عدد الكتاب على مستوى الناحية والمنطقة ليصل إلى فوج من اثنتي عشر مجاهدا . وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من المراكز ما تستعمل اللغة الفرنسية، إلا أن ذلك كان بشكل محدود جدا .

12ومن سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض أنواع التقارير، منها :

13التقرير الإداري للجيش

15 التقرير المالي / العسكري / النظامي

16 تقرير نتائج الإخبار .

17 تقرير عن الجالية الأوروبية بالجزائر .

18 وسأعرض هنا انموذجا من هذه التقارير . كما أشير إلى أن هذه التقارير تختلف عن بعضها البعض بحسب الكاتب وموضوع التقرير : وهذه وثيقة بخيط اليد :

19 الحمد لله

20 الجمهورية الجزائرية

21 جبهة و جيش التحرير ولاية 2 منطقة

22 الوطني جهة 3 قسم 3

23 أعمال عسكرية

24 الإشنتباك :

25 في يوم 16/08/1960 . وقع اشنتباك بين خمسة جنود من جنودنا وجيش العدو . ودام الإشنتباك مدة ساعتين . وكانت النتيجة من طرف العدو بـ 12 عسكري قتلا و 9 مجروحين . أما من طرف جنودنا فقد استشهد من الفرقة 1 وألقى العدو القبض على عامل آخر و أخذ العدو السلاح من الفرقة 1 ما ص 06 .

26 كمين :

27 في يوم 20-08-1960 قام العدو بتطويق على ستة قرى من دوار رقم 7، وعند وجوعه في الساعة السادسة والرابع مساء على دشرة البهلول نصب له نصف فوج من الفرقة 2 والبعض من سعاة البريد كمين وعند دخوله في الكمين اطلقوا عليه وابلا من الرصاص فقتلوا سبعة جنود فرنسيين

28 هذا
من جانب العدو أما من جانبنا فقد جرح جندي بجروح خفيفة وكان هذا بدشرة البهلول دوار باينان بالبعد عن قرية رجاس بـ 20 كم شمال شرقي وقد دامت المعركة 20 دقيقة .

29 إدارة القسم 3

30 تُراعي هذه التقارير الحربية في كتابتها نمطا معينا، حيث تبدأ بالتعريف بالجهة المقررة . ثم تحديد نوع العملية إن كانت (اشنتباك أو كمين أو نصب ألغام) وبعدها يلجأ صاحب التقرير إلى وصف وقائع العملية وأهم نتائج العملية الحربية

31 حيث تتميز هذه التقارير بالاختصار الشديد . فتقتصر على ذكر أهم الأحداث وأهم النتائج ، متفاديا بذلك التطرق إلى التعليق الشخصي على الأحداث بمدح أو ذم، بقبول أو رفض .

32 وتجدر الإشارة هنا إلى التمييز بين تقارير العمليات الحربية وتقارير الحملات العسكرية . ذلك أن العملية الحربية عادة تكون بين طرفين عسكريين من جنود الإستعمار ومجاهدي جيش التحرير . أما الحملات العسكرية فهي عبارة عن تمشيط عام تقوم به قوات المستعمر في القرى والمداشر بحجة البحث عن المجاهدين .

33 كما أن تقارير المواجهات الحربية تكون مضبوطة النتائج أما الحملات العسكرية فتقاريرها تبقى مفتوحة لتدوين ما يجد . هذا ما يجعل الإختلاف واضحا في لغة تقارير العمليات الحربية، التي تكون لغة موجهة إلى التحديد العددي للنتائج في حين أن لغة تقارير الحملات العسكرية تتميز بالإنشائية والوصف لما حدث ويحدث .

34 حتى و إن إقتصر الموضوع على نماذج قليلة ،فإن الملاحظ على هذه التقارير أيضا أنها تقترب من حيث طول التراكيب وقصرها إذ تتميز الجملة بالقصر والتكثيف الدلالي، وهذا بالتأكيد يدخل ضمن منهجية كتابة التقارير الحربية .

1135 – تقارير التمويل والحسابات المالية :

36 أما الأنماط الأخرى من التقارير فهي تختلف عن هذه الأولى، باعتبار أنها تخص جانب التمويل وتقارير الحسابات المالية والإشتراكات . فقد أحكمت الثورة تنظيم الإشتراكات الفردية لتمويل الكفاح المسلح . وجعلته واجبا على كل مواطن . وقد كُفّت لجان خاصة يجمع الأموال المتمثلة في الإشتراكات والتبرعات

37 والترغيم الذي يمسّ بعض المتقاعسين عن الإسهام في الثورة ولا يملكون عذرا لذلك . حيث تقوم هذه اللجان بتسجيل أعمالها في قوائم لا يمكن أن نرصد الجانب اللغوي فيها لاعتمادها لغة الأحصاء والأرقام في ذلك .

38 في حين يمكن للباحث في هذا المجال أن يرصد مستوى لغة التواصل من خلال الرسائل التي ترسل إلى أشخاص معينين لحثهم على الإسهام والبذل و نورد كمثال على ذلك هذه الرسالة :

39 الحمد لله والله أكبر والعزة للجزائر والنصر للمجاهدين

40 جيش التحرير الوطني الجزائري جبهة التحرير الوطني الجزائري

41 الولاية الأولى 58/05/8 المنطقة الأولى

42 قسمة أبي طالب .

43 "الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون" قران كريم .

44 وبعده .

45 إلى الأخوة – المواطنين السادات الأخضرين حموبن العشايوي والدراجي بن حمو بروبة فإن النظام يطلبكما وبصفتكما جزائريين وتحاكمان و تكافحان على الجزائر بكل ما تملك أيد يكما من عزيز وغال في خدمة القضية المقدسة وتدعيم منح السعادة للوطن والحرية للشعب .

46 أن تسهما بإعانة مالية قدرها (12000) يوم 13 . 05 . 58 فلکم مني وافر الشكر ومن الله الأجر والثواب .

الناحية

القسمة

الرابعة

الثانية .

48 تتميز هذه التقارير بتحديد الفترة الزمنية للاشتراك . مع ذكر أسماء المشتركين وتحديد المبالغ المالية ثم ذكر الهيئة القابضة للاشتراك . هذا ما يجعل هذه التقارير مضبوطة منهجيا حيث يُبتدأ بتحديد الجهة المؤطرة للاشتراك ثم الاستهلال بأية من القرآن الكريم . تُعتمد أساسا لتحفيز الهمم واستثارة النفس للبذل . كما تضيف صبغة الشرعية الدينية على قنوات إيداع هذه الأموال التي لا تكون إلا إسهاما في الثورة وتدعيما للكفاح .

49 نقرأ من خلال هذا الأنموذج المختار كمثال، لغة تهتم بالرسالة في حد ذاتها أكثر من اهتمامها بالتنميق التركيبي والبلاغي فالأمر يستدعي المباشرة والوضوح؛ مع التركيز على العبارات ذات الشحنة العاطفية القومية والدينية ، (بصفتكما جزائريين، القضية المقدسة، السعادة للوطن والحرية للشعب) . هذا دون أن نغفل على اهتزاز الجانب النحوي والتركيبي في هذه التقارير التي تتفاوت نسب الأخطاء النحوية فيها . وهذا يرجع كما سبق الذكر إلى مستوى الكاتب . وظروف عمله وإن كانت مثل هذه

الدراسة تحتاج إلى أكبر عدد ممكن من النماذج حتى نقف على المستوى الحقيقي للغة ، هذه التقارير اهتمامها بالجانب اللغوي الصرفي و البلاغي .

50 ندرج تحت هذا النمط من التقارير تلك التي تهتم بأحوال منكوبي الحرب لضبط الخسائر المسجلة في هذا المجال . وتتميز هي الأخرى بهيمنة لغة الأسماء والأرقام وقلة التراكيب التعبيرية .

1151- التعليمات والأوامر :

52 حتمّ الطرف الذي عاشته الجزائر في مواجهة أعتي قوة في العالم آنذاك . على تنظيمات الثورة التحريرية الإرتجالية وعدم الانضباط . إذ لم تسمح ظروف الحرب بالترتيب من أجل صياغة قوانين وفق نظام بروتوكولي معين ، وإصدارها بعد المصادقة عليها إلى السلطات والهيئات المكلفة بتنفيذ هذه الأوامر . ولأجل ذلك كانت الحرية المطلقة لكل سلطة في صياغة أوامرها وتعليماتها على الوجه الذي تقتضيه الحالة لتسيير الهيئات السياسية والعسكرية وكمثال على ذلك نورد هذا النموذج لجزء من رسالة موجهة إلى مسؤول اللجان، والتي تُحدد بعض المفاهيم والغايات :

53 " و لاتحسنن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون "

54 جيش وجبهة التحرير الوطني الجزائري .

55 ولاية 1- منطقة 2 ناحية 4 قسيمة 3

56 من الأعمال التي يتطلبها النظام من مسؤول اللجن .

57الإخلاص في الأعمال لله وللرسول و للوطن الجزائري المفدى والتجرد من أقوال الوقاحة والأعمال الخبيثة .

58 بحيث يتخلق المناضل بأخلاق الجندي الطاهر الأبى الذكي المؤمن بالحق فوق كل شيء وخدمة الوطن قبل كل شيء .

59تربية الشعب على المبادئ الإسلامية والقوانين الثورية وإنقاذه من الدعايات الاستعمارية التي تنتافي مع أهدافه الوطنية كالمشاركة في الانتخابات والاعتراف بالإطار الفرنسي المرفوض من طرف ممثليه الأحرار أمام الجمعية الأممية

60 السهر على تنظيم الشعب وحمايته من شر الخونة أعوان الإستعمار وإبعاده إبعادا كليا من التجنيد في الجيش الفرنسي . وإرتباطه إرتباطا وديا متينا بجيشه التحريرى الوطني الجزائري المسلم المجاهد بماله ونفسه في سبيل حرية الجزائر واستقلالها . (هناك جزءا من التعليمات)

61وإذا تعدى مسؤولو اللجنة هذه الحدود وتغافل عن تطبيق هذا فالنظام يتولى بحثه وإستنطاقه وعقابه كل الجزائريين

62مسؤولون أمام الله والتاريخ على (الإقتصاد) وذلك لطرد الخطر عن (ميزانية) الجيش وشعبه والسير بهما في طريق التحسن ، وإذا طبقنا هذا كله ودائما نطبق أوامر النظام ننال حقتنا في الحياة ونستبشر بنعمة من الله وفضل ونتفاعل بطلوع شمس الحرية والاستقلال في قطرنا الجزائري الذي من أجله نموت ومن أجله نحيا

63 الإمضاء

64 المسؤول السياسي عبد القادر

65 المسؤول العام للقسيمة 3 /24 فيفري / 58

66 وإذا كنا أوردنا هذا النموذج من التعليمات،فذلك بقصد الإشارة إلى إختلاف لغته عمّا سبق من التقارير، حيث أظهر هذا النص مدى تمكّن المسؤول السياسي من اللغة العربية الفصحى،إذ تقلّص استعمال العامية في هذه الوثيقة ، كما نلمس جانبا من المنهجية في تقسيم التقرير الذي يمكن أن نحدد جانبه المضموني كمايلي:

67تحديد الجهة الرسمية المشرعة للتعليمات

68تحديد // المقصودة والموجهة إليها .

69تحديد مواد التعليمه بفقرات محددة ومتفرقة

170اعتماد الألفاظ الصارمة التي توحى بمدى مسؤولية الخطاب وانضباطه، من مثل (يجب . بأمر . نذير . ممنوع)

71تجنب تحديد الطرف المعني بالأمر باسم خاص لأن الأحكام تخص المسؤوليات بعامة .

72ظهور منهجية التقديم

73مراعاة نضام المقدمة والعرض والخاتمة .

74مراعاة شعور المتلقي باستدراجه من خلال الاعتماد على النص الديني والشعور القومي .

VI75- الرسائل :

76 شكلت الرسائل الحلقة الوطنية بين أجهزة الثورة، هيئات وأشخاصا فرادى، ومع صعوبة التنقل إلا أن الهيئات الخاصة بالاتصال جئدت أفردا عرفوا بالمسبلين وهم غير المنضمين بصفة رسمية إلى صفوف الثورة، و كانوا يسهرون على نقل هذه الرسائل معتمدين في ذلك على السير على الأقدام وتجنب الطرق والمسارات المكشوفة لقوات العدو حفاظا على أرواحهم وعلى ما يحملونه في هذه الرسائل من أخبار .

77وقد تميزت هذه الرسائل بمنهجية تكاد تكون موحدة في معضمها، وهي البداية بالتقديم، عرض الموضوع ثم اختيار صيغة الاختتام . كما لم تخلو هذه الرسائل في معضمها من تناقل آخر الأخبار عن العمليات العسكرية وتحركات العدو . حيث يعمد المرسل بعد الإخبار عن أحواله إلى ذكر أهم ما يجد على ساحة المعارك، ثم بعد ذلك السؤال عن أحوال المرسل إليه و أجواء الحرب في منطقته . وهي رسائل بين أفراد بأسمائهم أو بين هيئات، أو بين هيئات أشخاص معينين . وحتى تقترب من هذه الرسائل نختار هذا النموذج :

78 الجمهورية الجزائرية

79جبهة وجيش التحرير الوطني

80 هيئة أركان الحرب

81الولاية 3

82 في... 62/3/8

83حضرة الأخ الروحي المساعد سي الطاهر تحية وطنية خالصة وأشواقا حارة ودية وبعد

84إنني في شوق إلى رؤيتك لأنني أعتبرك كأعز أبنائي الأوفياء ودائما أسأل كل من يتصل بي عن شأنك وحالتك . ومازلت أتذكر تلك اللحظة التي فارقتني فيها وأعينك الدامعة في (قادمات) من الناحية الثالثة . وذلك عندما ألزمتك شيئا كان أثقل عليك من الحديد وأنا - علم الله - إنما أريد أن تتربى تربية ثورية . وتتكون من مدرسة الثورة كرجل عظيم . وكبطل حكيم تحمي الجزائر العزيرة . وتدافع عنها بأفكارك ونشاطك . كما دافعت عنها بسلاحك ورشاشك .

85ولدي الروحي الشيء الذي أتمناه لك هو التوقيف العلمي والنجاح الدائم ، وأرجوك أن تخبرني عن جميع حالتك الخاصة وحالة الشعب بتلك الجهة التي أنت فيها ، وحالة الجيش بصفة أخص . كما أرجوك أن تكاتيني دائما عما يتجدد من الحوادث في تلك الجهات القريبة منك . وإذا كانت الحالة حسنة هناك فسأصل بكم إن شاء الله أما حالي في ناحية الصحة الجسدية لا بأس أما من ناحية رجلي فعاطلة لا أستطيع أن أقطع إلا مسافة غير طويلة .

86تقبّل في الختام تحياتي الحارة بلغها إلى كافة المسؤولين هناك وخاصة رئيس الناحية عمي الربيع وجميع الجنود والشعب . ودمتم مستعدين حازمين

أخوكم الضابط الثاني 87

الشيخ يوسف 88

الإمضاء . 89

90 تختلف الرسائل من حيث القصر والطول على حسب الغرض بالدرجة الأولى . كما يُعزى الجانب التعبيري إلى المستوى التعليمي لصاحب الرسالة . حيث نلاحظ تقدما في مستوى الإعتدال على فصيح اللغة العربية مع بقاء انتشار الأخطاء النحوية والإملائية – وهذا بالذات المستوى الحقيقي الذي بلغته اللغة العربية الفصحى في الجزائر في مرحلة الاستعمار . ذلك أن الموضوع الحقيقي الذي يسترسل فيه المتكلم أو الكاتب . هو موضوع الأُنس .

91 كما يكون مخاطبا لشخص مأنوس كصديق . وفيه يكثر التخفيف والفصيح وهذا ما يُعرف عند سيبويه بسعة الكلام والاختصار .

92 كما نقرأ في هذه التقارير والرسائل ذلك المستوى المأنوس من العربية الفصحى، الذي يمكن استعماله في الحياة العادية البعيدة عن التحقيق في التمييز بين همزة القطع وهمزة الوصل .

93 وليس في هذا دعوة إلى إخضاع قواعد اللغة العربية الفصحى للعامي . وهنا تجدر الإشارة إلى النظر إلى ذلك المستوى الذي كُتبت به رسائل المجاهدين وتقاريرهم وهم يبحثون عن العربية الفصحى . حتى إنهم إخششوا في نطق الفصحى من اللغة العربية بحثا عنها فأخطؤوا الوسيلة و أصابوا الغاية.

94 وإن كانت هذه التقارير والرسائل قد تضمنت سلامة المنهج الذي على وفقه كُتبت، إلا أنها كانت تبحث في معظمها على لغة توافق النمط الذي تنطوي تحته في محاولة لإيجاد ما يسمى بالحقول الدلالية فألفاظ الرسائل تختلف عن ألفاظ التقارير بأنواعها وتراكيبها . كما اختلفت لغة التقارير فيما بينها . وهذا ما يُبرز سلامة لغة الخطاب في مجال من الكتابة إبان الثورة التحريرية .

95 كما غلبت أساليب الخبر والاستفهام على كل النصوص . وذلك تحقيقا للغاية المرجوة من الرسائل التي تكون عادة سؤالا عن الآخر و إخبارا عن الأنا . وهذا ما يُضفي طابع الوصفية على النصوص، والمباشرة في ولوج الموضوع .

96 وما يُمكن أن نصل إليه أخيرا هو أنه إذا كان كاتب رسائل وتقارير الثورة قد وقع في أخطاء تركيبية ولغوية، إلا أنه لم يقع في جريمة التخلي عن هذه اللغة التي تشكل جزءا كبيرا من هوية الجزائري .

المرجع:

بو طمين جودي الأخضر ، لمحات من ثورة الجزائر . نقلا عن عيسى بن سديرة . استعمال اللغة العربية – إبان الحرب التحريرية الجزائرية